

تمثيلات الحكمة الزهدية في شعر محمد بلخير

Representations of ascetic wisdom in the poetry of Muhammed Belkheir

أ.د. هامل شيخ

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
(الجزائر)

hamel.cheikh@yahoo.com

ط.د. دين لخضر*

مخبر الخطاب التواصلية الجزائري الحديث
جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
(الجزائر)

dinelakhdar9@gmail.com

تاريخ القبول: 2023/05/02

تاريخ الاستلام: 2022/08/09

ملخص:

تهدف هذه الدراسة للبحث عن مدى إسهام الشعر الشعبي الجزائري الحديث في تشكيل الحكمة الشعرية الزهدية، وذلك من خلال الكشف على بعض النماذج الشعرية التي ضمنها "محمد بلخير" في أشعاره التي جمعها ثلة من الباحثين المتميزين، والتي أوقفنا على حقيقة مهمة مفادها أن هذا الشاعر الفذ نسج حكما زهدية جلييلة يمكن لأي شخص سواء أكان من عامة الشعب أو من خاصتهم أن يحفظوها ويتغنوا بها في مناسبات تليق بالأحداث اليومية للسهولة والليونة التي فيها من سهولة في اللغة ولالألفاظ المفهومة لديهم، إذ كان من أهم نتيجة توصل إليها في هذه الدراسة تتمثل في أن هذه الشخصية الفذة عموما وشعره خصوصا يبقى مجالاً للدراسة المتواصلة من طرف الباحثين الأكاديميين.

الكلمات المفتاحية: تمثيلات، الحكمة، الزهد، محمد بلخير.

Abstract:

This study aims to search for the contribution of modern Algerian folk poetry to the formation of the ascetic poetic government, and that's by revealing some of the poetic models that Muhammad Belkheir included in his poems, which were collected by a group of distinguished researchers. Which led us to an important fact that this feat of poet wove a glorious ascetic ruling that anyone, whether of the common people or their own, can memorize it and sing it on occasions worthy of everyday events, due to the ease and flexibility in which it is contained in the language and the words they understand, as one of the most important results he reached in this study is that this unique personality in general and his poetry in particular remains an area for continuous study by academic researchers.

Keywords: Representations, Wisdom, Asceticism, Mumammed Belkheir.

1. مقدمة:

* دين لخضر.

لئن كانت الحكمة عبارة عن عصارة تجارب خالصة لشخص بعينه، دفع الناس يبحثون عن الإنسان الحكيم في كل زمان ومكان؛ فهم يرون في تجاربه دروسا يتعلمون منها ويستنجدون بها في مواقف تشابه المورد الذي قيلت فيه، لذا نجد أن كلمة الحكيم إذا أطلقت على أحد من الناس فكأنما يمنحونه لقباً للتفرقة بينه وبين غيره من أشخاص، وعليه اهتم الناس بالحكمة وبأصحابها وحفظهم لأقوالهم لعلها ضرباً من ضروب الحقيقة المطلقة التي يستنبطون بها في حياتهم؛ وعلى هذا الأساس لم يخل الشعر الجزائري من شعراء حكماء أبدعوا في هذا المجال ومنهم الشاعر الشعبي "محمد بلخير" أو كما لقّب بـ: "شاعر ومداح بوعمامة أو شاعر زين القباب أو شاعر رحل البيضا أو الشاعر الحكيم" الذي ترك لنا إرثاً من الحكم الشعبية الشعبية السهلة الحفظ المفهومة لدى العامة والخاصة التي تنوعت مواضيعها ومنها موضوع الزهد أو كما أسميناها بـ: الحكمة الزهدية.

وعليه يمكن طرح الإشكال الآتي: كيف تمثلت الحكمة الزهدية في أشعار "محمد بلخير"؟ وقد كان الهدف الأسمى من خلال هذه الدراسة؛ الكشف عن تمثيلات الحكمة الزهدية في أشعار "محمد بلخير"، وأيضاً إلى طرح موضوع جديد بالساحة الأكاديمية الجزائرية هو موضوع تمثيلات الحكمة في الشعر الجزائري الحديث بصفة عامة، والحكمة الزهدية على وجه الخصوص. وقد اعتمدنا في سير هذه الدراسة على المنهج التأويلي الوصفي وأداة إجرائية هي التحليل.

2. مفهوم الحكمة:

تعددت المفاهيم الاصطلاحية للحكمة وتنوعت، تحديد معناها من أصعب الأمور شأنها في ذلك شأن الكلمات المعنوية العامة، فقد عرفت على أنها: "العلم الحلم والعدل في القضاء ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم يفصل بها في الخصومات وتدار بها الأزمات فيعيش الناس في ظلها في أمن وأمان".¹ وبما أن حياة الإنسان تقوم على الخير والشر وعلى الانفعالات التي تصاحبها من فرح وحزن ويأس وجبن وشجاعة وحب وغيرها، فقد عرفت أنها: "ذلك القول الموجز الذي يتضمن حكماً مسلماً بها في الحث عن الخير والكف عن الشر".²

وتنقسم الحكمة في الحياة على حد أغلب الباحثين على قسمين: حكمة نظرية وأخرى عملية؛ فالأولى يمكن القول عليها أنها تلك النظرة التي ينظرها الحكيم إلى القيم الإنسانية المجردة، وموقفه العقلي الخالص إزاء المعاني التي تحتاج دوماً إلى تفسير في كل العصور تسمى بعلم الأخلاق ونوازع النفس وأحاسيسها، وهذا ما أشار إليه "طه حسين" في كتابه "مع أبي العلاء في سجنه" على أنها عبارة عن مجموعة من الأمشاج التي تدرس كافة الموضوعات والتي توضع أساساً لفلسفة.³ وأما الثانية: فيمكن القول عنها على أنها تلك المواقف الفلسفية اتجاه الحياة التي يعيشها الشاعر؛ فالحياة هي الركيزة الأساسية التي يقوم عليها فكر الإنسان، وتكون نتيجة خبرة مكتسبة من واقع الشاعر.

وتتميز الحكمة بجملة من الخصائص منها ما تعلق بالمعنى ومنها ما تعلق بالمبنى، فما تعلق بالأولى كان مصدره تلك الاستعارات والتعابير المجازية للحقائق فتحكمها بذكر الأقوال المأثورة والأشعار المشهورة، إذ أن أغلب مواضيعها تكاد تكون مستلهمة من تراث الإنسان الأبدى كالفلسفة والعيش الكريم؛ وأما الثانية فقد سُمي بها

الإيجاز والاقتضاب والتفنن بأساليب الطباق والإيقاع والسجع، حينها تصبح لغتها سهلة الفهم بليغة تستهويها القلوب مستقرة في الذاكرة سريعة الانتشار.⁴

*علاقة الحكمة بالشعر:

زخر الشعر العربي عامة منذ القدم بحكم استمدادها أصحابها من مصادر مختلفة كواقع الحياة اليومية التي أدت إلى تنوعها من حكم خلقية ودينية واقتصادية وسياسية واجتماعية وغيرها كثير، أو كالتأثر بالكتب المترجمة الغنية بما ناظمين في ذلك على منوالها، وعلى هذا فقد عرف غرض الحكمة منذ القدم ولكنه لم يكن غرضاً مستقلاً في بناء القصيدة العربية، بل جاء مشاركا للأغراض الشعرية الأخرى من مدح وفخر وغزل وهجاء ورثاء، واستمر على هذا المنوال إلى أن استقل هذا الغرض في العصر العباسي مع "أبو تمام" و"البحري" و"أبو فراس الحمداني" وخاصة "المتنبي" حيث شكل موضوع الحكمة في شعره باعثاً من البواعث الأساسية من التجربة الشعرية عنده؛ فلا شك أنه -شعر الحكمة - من أهم البواعث الراسخة في تكوين نمط تفكيره، ونظرته للحياة، وموقفه الفكري الثابت من العصر سياسياً وثقافياً، حيث ظل الزمان والمكان مدار الشعر عنده، وامتداد لحياته، وحكمته، وثورته، وصراعه مع الدهر.⁵

من خلال هذا بات يعرف لون اهتم به الباحثون كثيراً يسمى بـ: "شعر الحكمة" الذي عُرف بذلك: "الشعر الذي ينظمه الشاعر وهدفه الموعظة والنصيحة، وفي العادة يكون الشاعر الحكيم ذا موقف معين، ونظرة في الحياة تدفعه إلى بسطها أمام غيره من الناس، ومن المعاني التي يقدمها الحكيم؛ حكم في الأخلاق، وفي المعاملة، والتربية، والحض على العلم، وغير ذلك، وقصيدة الحكمة لا تكون طويلة في العادة، وتعتمد الإيجاز في الألفاظ والتوسيع في المضمون، كما أن بعض الشعراء يستخدم الحكمة داخل موضوع آخر. وشعر الحكمة موجود عند أغلب الأمم القديمة، وكان الإغريق ينظمون شعرهم الحكيم كثيراً (...) واشتهر العرب بشعر الحكمة كطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، وفي العصر العباسي عُدَّ المتنبي خير الشعراء الحكماء، ويتلوه المعري، على أن الشعر الحكيمي يظل دون كثير من الأغراض كالغزل والوصف".⁶

3. مفهوم الزهد:

— لغة:

لقد حفظت المعجمات العربية مادة "ز ه د" وأعطتها دلالتها اللغوية، ومن ذلك ما جاء لدى "ابن منظور" في "لسانه" بقوله: "الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها: ضد الرغبة (...) والتزهيد في الشيء وعن الشيء: خلاف الترغيب فيه (...) والمُزهد: القليل الشيء، وإنما شمي مُزهداً لأن ما عنده من قلته يُزهد فيه، وشيء زهد: قليل (...)".⁷

فالمصدق للتعريف الذي ورد يرى أن معنى الزهد لغوياً يعني: قلة الشيء أو الإعراض عن الدنيا وتركها لاحتقارها أو خوفاً من الله أو هو التعب والتعباد والطاعة.

- اصطلاحا:

لقد تعددت وتنوعت التعريفات الاصطلاحية لكلمة "زهد"؛ ولكنها في جلها لا تكاد تخرج عن التعريف الأم التعريف اللغوي، ومن ذلك ما أورده "عبد الله بن المبارك المروزي" في كتابه "الزهد والرقائق" على أنه: "خلوة من الدنيا وانصرافه عن محبتها إلى محبة الدار الآخرة، فلا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، بل يرتحل بقلبه من الدنيا إلى الآخرة، فلا يكون فرحه بالدنيا ولا أسفه عليها، ولا رغبته في أعراضها، بل تصير الآخرة همه ونيته، والعلم الموروث لهذه الحال هو اليقين بقول الله عز وجل: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^{١٦} وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى^{١٧} " 8

فمن هذا التعريف وما أجمع عليه كثير من الباحثين الذين تكلموا في الزهد، على أن هذا الأخير هو إعراض عن الدنيا وتركها وعدم الركون إليها طمعا في الآخرة ورغبة في ثواب الله عز وجل.

4. نبذة عن حياة "محمد بلخير":

تعد شخصية "محمد بلخير" من الشخصيات التي لاقت صعدا كبيرا داخل الوسط الباحث فيها، وبخاصة داخل الوسط الجمعي في منطقة البيض، الذي يفخر أيما فخر بهذه الشخصية؛ على عده الثمرة التي وصفت ومدخت رمزا من رموزهم "الشيخ بوعمامة" حتى أصبح يلقب بـ: "شاعر الشيخ بوعمامة أو شاعر زين القباب أو شاعر رحل البيضا"، فأصبحوا يحفظون كثيرا من أشعاره حتى أصبحت الروايات تختلف من شخص إلى آخر؛ وهذا الصدى جعل بعض الباحثين يبحثون في حياته وأشعاره، إذ اختلفت وتضاربت حوله سواء تعلق الأمر بحياته كمولده وتاريخه وغيرها أو من ناحية جمع لكتاب أو ديوان موحد يشمل أشعاره دون اختلاف، ومن الذين اهتموا بهذه الشخصية وبشعرها نجد أربعة باحثين هم: "العربي بن عاشور" صاحب كتاب "أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة"، ومخطوط أعدته "دحماني خديجة" معنون بـ: "محمد بلخير"، و"بوعلام السايح" صاحب كتاب "أشعار الهوى والوغي لمحمد بلخير"، و"ناصر صبار" صاحب "محمد بلخير شاعر الحكمة والحرب".

وقد أعلن "العربي بن عاشور" صراحة في كتابه المذكور آنفا أن: "محمد بن بلخير بن قدور والذي درجت تسميته على ألسنة العامة "محمد بلخير" لم نثر على ما يمكننا من تحديد تاريخ الميلاد بالضبط، إذ ليس هناك إجماع على تاريخ ولادته فقط ومن الاعتماد على الذاكرة الشعبية، هناك تاريخ معروف وهو سنة 1838 كتاريخ ولادته، كان مسقط رأسه منطقة تاغست" بالواد المالح دائرة بوعلام التي تبعد عن الولاية بحوالي 70 كلم بين وهران وعين تموشنت، وهو من فرقة أولاد داود عرش الرزيقات⁹.⁹، إذ قال أن تاريخ وفاته: "سنة 1906 ودفن بتغنست بمنطقة القنطرة، ثم نقل إلى مقبرة الشهداء".¹⁰

وكما أوردت "دحماني خديجة" أنه: "ولد بخيمة في قبيلة الرزيقات -البيض- حوالي أربعمئة وخمسين كلم جنوب وهران، وبحسب شيوخ نهاية القرن التاسع عشر، وكان سنهم وقتها بين ثمان وعشر سنوات، فقد كانوا يقدرون عمره بسبعين سنة تقريبا، وكانوا يعتقدون أن وفاته حدثت في حدود عام 1905".¹¹، وفي قول آخر

أوردته لباحث آخر يسمى بـ: "العميري" على أنه قال: "محمد بلخير ولد بالبيض بمنطقة تقيست دائرة بوعلام التي تبعد عن مقر الولاية بحوالي 70 كلم، وذلك في ربيع سنة 1828 بقبيلة الرزيقات (...)"¹² ومن الآراء التي رجاحة ما أورده "ناصر صبار" أنه: "ينتمي إلى قبيلة "الرزيقات" فرع أولاد داود (من البدو الرحل)، ولد بمنطقة واد المالح قرب عين تموشنت غرب وهران سنة 1922 (...) وتوفي سنة 1905."¹³ هذا جانب من الاختلاف الذي ورد عن حياة "محمد بلخير"، ومما لاحظناه في إطار البحث عن سيرته أنه على الرغم من إطلاق كنية "مداح بوعمامة أو شاعر بوعمامة أو شاعر رحل البيضاء أو زين القباب" إلا أنه لم يجد في سيرته أي لقاء بين الرمزين رمز المقاومة ورمز المقاومة الجهادية الشعرية.

5. نماذج من الحكمة الزهدية في شعر محمد بلخير:

إن المدقق في أشعار شاعرنا "محمد بلخير" يجد في معظمها تلك النزعة التي يمكن تسميتها بالنزعة الصوفية، وهذه الأخيرة كانت من أهم المصادر إن لم تكن أهمها في انبثاق حكمته التي رددتها الأفواه، فولدت لنا خطاب حكمة شعرية زهدية جمعت بين: "مدح أولياء الله الصالحين، والدعاء والتوسل، والحقيقة الإلهية، والحقيقة المحمدية، الإيمان بالقضاء والقدر".

- في مدح أولياء الله الصالحين: يعد مدح أولياء الصالحين من أهم المواضيع التي تناولها الشعراء الزهاد الصوفية في أشعارهم، ولم تخل أشعار "محمد بلخير" من ذلك، حيث ابثق من هذا المدح حكما يمكن للقارئ أن يستأنس بها عند مدح شيخه، ومن الشواهد التي جسدت حكمته الزهدية هذه؛ قوله في قصيدة "أنا خديم رحل البيضاء" المادح فيها لـ: "رحل البيضاء أو الشيخ بوعمامة":

عُطَاهُ خَالِقُهُ لَا يَرَى *** وَسَقَاهُ سَيِّدُنَا مَنْ كُوْنُو

سَبْعَ سِنِينَ نَصَفَ الثَّمَرَةَ *** بِهَا يُصُومُ وَاللَّهُ عَانُو

عِبَادَتُو مِئَةَ وَالْعَشْرَةَ *** خَلَوَاتُ وَالْفَضَائِلُ بَانُو

مَنْ عَاشَ بِالْفَضْلِ وَالْقَدَرَةِ *** وَالْوَاصِلِينَ كِي هَاكَ يَكُونُوا¹⁴

فهو من خلال هذا القول يبرز صفات ينبغي أن يكون عليها الصوفي؛ ومنها أن يكون زاهدا في أمور دنياه لآخرته، على عِدِّ الصوفية الأوائل هذا الأخير شعارهم في صوفيتهم ودنياهم، حيث مثل هذا الشعار حركة تقشف وانصراف عن الدنيا بموت بطنته حتى تحي فطنته، فلو حَيَّتْ البطننة لماتت الفطنة، وأن يخلي الرجل قلبه مما خلت يده، وأن تفقد الدنيا عنده كل القيمة، وقد استعملت الألفاظ: "خَالِقُهُ، سَيِّدُنَا، نصف الثمرة، يُصُومُ، عِبَادَتُو، خَلَوَاتُ، الْفَضَائِلُ، الْفَضْلُ، الْقَدَرَةُ، وَالْوَاصِلِينَ" استعمالا يدل على أنه يُرْعَى في الذي يسمى نفسه صوفيا أو زاهدا هذه الخصال والفضائل المذكورة في القول حتى يتحقق فعل الوصل بين العبد وخالقه؛ والملاحظ للألفاظ بخاصة والقول على وجه العموم يرى أن الشاعر استخدم في جله ألفاظا فصيحة ولكنه عممها دون إعراب أو قواعد حتى يسهل على العامة والخاصة فهمها وبالأخص إن كانت الفترة التي عاش فيها هي فترة بدأت الأمية

والجهل يتفشيا بين الشعب الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي هذا من جانب، ومن آخر في أنه هنا تكمن حلاوة الشعر الملحون في عدم التزامه بتلك القواعد كما أسلفنا الذكر حتى تتلفه القلوب وتنطق به الأفواه.

وقد استخدم في هذه الأبيات حرف "الراء" رويا للشطر الأول وحرف "النون" رويا للشطر الثاني؛ وهما حرفان مجهوران للدلالة على أنه يريد الإعلان عن الصفات التي ينبغي أن يتجمل بها الزاهد في الدنيا هذا من جانب، ومن آخر فباستخدامه لهذين الحرفين أعطى لأبياته جمالية نغمية على عدّ حرف "الراء" الحرف الوحيد الذي يعد من حروف "التكرار" الذي يرتعد معه طرف اللسان¹⁵، وعدّ حرف "النون" من حروف الغنة التي تحدث صوتا ينفذ إلى القلب مباشر.¹⁶

- **في النصيحة:** تعد النصيحة من أهم الأبواب المؤدية إلى استخلاص التجارب والعقل والحصافة والحكمة، وشاعرنا "بلخير" بنصائحه المضمنة في شعره قادنا إلى حكمة جليلة شريفة يمكن للمرء الاستئناس بها في مواقف الشبه، ومن شواهد ذلك، يقول:

اللِّي يَدِيرْ خَمْسَةَ مَمْنُوعٍ مِنْ الْحَسَابِ *** إِذَا مَشَى تَرْكُهُمْ لَا حَاجَةَ بِيْه

يَبْدَأُ بِالشَّهَادَةِ مَفْتَاخُ كُلِّ بَابٍ *** وَيَقُومُ بِالصَّلَاةِ وَالْمَالُ يُزَكِّيهِ

الْحَجِّ وَالصِّيَامِ وَيَزِيدُ جَهَادَ الْحَرَابِ *** إِذَا يَكُونُ لِلَّهِ لَا غَيْرِيْه

هَذُوَا اللِّي جَمَعُهُمْ مَمْنُوعٍ مِنَ الْعَذَابِ *** وَاللِّي يَخَافُ مِنْ رَبِّي لَا يَعْصِيْه¹⁷

في هذه الحكمة الدينية يريد شاعرنا أن يبعث برسالة للمتلقي يوصيه ويدعوه إلى مجموعة من الأمور ينبغي للمرء المسلم أن يتفطن إليها حتى لا يتعرض إلى الحساب ولا إلى العذاب يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأول شيء هو تعليم الناس بما بُني عليه الإسلام استنادا لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء في الحديث: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».¹⁸

مضيفا إلى ذلك إخلاص النية والجهاد في سبيل الله لا لغيره وعدم عصيان الحق سبحانه وتعالى حتى يكتمل الإسلام والإيمان ممتنعا في ذلك من العذاب والحساب يوم التناد، ومن ذلك ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي في باب الجهاد وفضله: « حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ».¹⁹

- **في الدعاء والتوسل:** إذا كان للشعراء الزهاد الصوفية الأوائل أدعية طرقت جنس الشعر، وأخذت الأجيال ترددها على أنها حكما ينبغي أن تردد في مواطن الضعف حتى يستطيع الارتقاء والسمو من حال إلى حال معتمدين على طرق باب عز وجل دون غيره؛ فهذا هو "محمد بلخير" يسير مسارهم في ذلك ومن حكمه في هذا الباب، يقول:

اِبْجَاهُ حُرْمَةِ النَّبِيِّ وَالِيهِ*** سَعْدِي إِذَا يُجْنِي نَفْرَحُ بِهِ
اِبْجَاهُ حُرْمَةِ حُرْمَةِ الْعَشْرَةِ اللَّيِّ هُمَا صَحَابٌ*** أَهْلُ الْجِهَادِ وَالتَّوْحِيدِ وَمَوَالِيهِ
اِبْجَاهُ الْأَرْبَعَةِ كُلِّ أَكْتَابَ عَلَى كُتَابٍ*** عَسَى وَسَيَدُنَا مُوسَى وَنَبِيهِ
اِبْجَاهُ مَا خَلَقَ رَبِّي مَرْفُوعَ الْحِجَابِ*** وَابْجَاهُ كُلِّ سَيِّدٍ وَمَلَائِكَتِيهِ
أَلَّا طَلَبْتُ رَبِّي وَالطَّالِبَ مَا يُخَيِّبُ*** وَابْجَاهُ حَرَمْتُهِ وَاللُّوحَ وَكُرْسِيهِ
تَنْصُرُ غَلَامَ مُحَمَّدٍ مَا كَيْفُو أَحْبَابٍ*** وَلَلِّي خَبِيبَ رَبِّي هُوَ وَالِيهِ
تَذْهَبُ النَّصَارَى يَغْدَاؤُا مَنْ دَا التَّرَابُ*** وَتُوقَفُ الْغَلَامُ اللَّيِّ نَزُّهُوا بِهِ²⁰

إذا كان استجابة الدعاء من الله غز وجل بكثرة التضرع والرجاء له؛ فإن "بلخير" لم يهمل هذا الجانب وقد ظهر هذا جلياً من خلال تكراره للفظ "ابجاه" التي تكررت في ستة مواضع، دالة في ذلك على تأكيد احترامه وتقديره للسلطان الأعلى حتى يستجيب دعاءه ولا يخيب ظنه فيه، وفي كل مرة وجدت اللفظة إلا أتبعها بحقيقة لازمة معروفة لأي مسلم ومسلمة، إلى أن بدأ يعرض في دعاءه، وكأنه يريد من خلال خطاب هذه الحكمة أن يعلم الناس كيف يدعون حتى تستجاب الأدعية ويوفق كل واحد إلى ما يفرح به ويسر قريحته.

والتكرار هو من الأساليب التعبيرية التي: "يصور انفعال النفس بمثير من أشياء ما سلف، واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إما أن يكرر ما يثير اهتماماً عنده، وهو في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين، ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار، وهذا ما يحمل الشعراء أو غيرهم ممن يريدون تقرير أحاسيسهم بمعاني الحياة على أن يتخذوا التكرار أداة معبرة بنجاح مرادهم."²¹

وعلى يعد التكرار من الأساليب الفنية التي يعتمد عليها الشاعر، وهذا ما لوحظ جلياً في هذا القول، فبه استطاع "بلخير" إضفاء نغمة الموسيقية الممتعة على نصه، شاذاً بما فؤاد المتلقي، لافتاً لقريحته وبصيرته، إذ أدى إلى تعميق الإيقاع الصوتي وإبراز وتقوية الجرس، وباستخدام الشاعر لهذا الأسلوب استطاع أن يزيد لمعنى خطاب هذه الحكمة قوة ووضوحاً وجمالية موسيقية.

وإذا كان التكرار لتلك اللفظة قد أقاد بأن الشاعر ما قيل، فإن الكلمات والعبارات التي جسدت فعل الطلب والدعاء تجسد في: "طَلَبْتُ رَبِّي، الطَّالِبَ مَا يُخَيِّبُ، تَنْصُرُ، تَذْهَبُ، تُوقَفُ". ويقول في أحد سجنياته المشهورة التي يحفظها كثير:

سَلَّاكَ الْمَرْهُومُ مَنْ حَبَسَ الْكُفَّارُ*** قَادَرَ كُلِّ غَرِيبٍ لَبْلَادُو تَدِيهِ
فَرَّجَ يَا رَبِّي عَلَى مَنْ ضَاقَتْ بِهِ
سَلَكْنِي مَا بَيْنَ وَ سَدِّ خَجَارٍ*** الْمُعْبُوتُ يُشُوفُ لَوْ كَانَ بَعْنِيهِ
سَلَكْنِي مَنْ ضَيَّقَ الْأَعْدَاءُ وَ التَّرْيَارُ*** قَادَرَ تَبْنِي الرِّيحَ وَ الْكَافَ تَوَطِيهِ
نَتَوَسَّلُ فِي طَلَبَتِكَ لَيْلًا وَ نَهَارٍ*** وَأَنْتَ قُلْتَ إِذَا طَلَبَ عَبْدِي نَكَافِيهِ

سَلَكْنِي كَيْمَا سَلَكْتَ تَمِيمَ الدَّارِ***حَطَرُهُ فِي الزَّمَانِ صَارَتْ عَمْرَةً بِيَه
سَلَكْنِي كَيْمَا سَلَكْتَ طَهَ مِنَ الْعَارِ***الْحَمَامَةُ وَالْعَنْكَبُوتُ بَنَؤَا عَلَيْهِ
سَلَكْتَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ هَقَاتِ النَّارِ***بَرْدًا وَ سَلَامَ حَاجَةٍ مَا تَادِيهِ²²

التوسل والدعاء يبرز جليا واضحا لدى المتلقي من خلال أن الشاعر وهو في السجن يعبر عن آلامه والضيق الذي يشعر به، ولذلك فهو يلجأ إلى خالقه متضرعا له حتى يَفَرِّجَ عنه ما هو فيه، وكأنه يبرز لنا قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾²³ راجعا في ذلك إلى ثلاث القصص يؤمن بها العامة والخاصة من المسلمين وردت في القرآن والسنة وهي؛ قصة الحديث الذي رواه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن "تميم الداري" عندما نجاه الله هو وجمع من أصحابه عندما قذفت بهم الأمواج إلى جزيرة فيها المسيح الدجال²⁴، والقصة الثانية وهي تلك القصة المعروفة لدى العامة والخاصة لأشرف الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام عندما أوصى صاحبه في غار ثور بعدم الحزن لأن الله معهما كان فنجاهما من الذين أرادوا إفشال رسالته قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾²⁵ حيث كانت الحمامة والعنكبوت آيتين في منجاتهما، والقصة الأخيرة هي قصة "سيدنا إبراهيم" عليه السلام عندما نجاه الله من النار التي جعلها بردا وسلاما عليه عندما أراد قومه حرقه فيها التي كانت نارا عظيمة لا تطاق لا من إنس ولا من حيوان على وجه الأرض؛ وعلى العموم فهذه الحكمة يمكن للمرء أن يسترشد بها في مواطن الضيق لأنها تعلمه أن الذي يكشف الضيق هو الله عز وجل، إذ كان تكرار الكلمة العامية التي جاءت على صيغة "س ل ك" التي وردت كذلك على صيغة المبالغة "سَلَاكَ" التي أفادت المبالغة والإكثار في الطلب، وبصيغة المتكلم الطالب الداعي: "سَلَكْنِي" التي أفادت الطلب من الأدنى درجة إلى الأعلى درجة، وصيغة الفاعل الذي قام بالفعل: "سَلَكْتَ" التي أفادت نزول الأمر من الأعلى درجة إلى الأدنى درجة؛ وهذا البناء في اختيار الألفاظ لهذه الحكمة أكد إنه: ﴿لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾²⁶.

ويقول:

دَبَّرَ عَلَيَّ يَا صَاحِبَ التَّدْبِيرِ***دِيرٌ لِي فِي الْقَسَمَةِ الْوَاقِيَةِ عُودِي
 يَا الْمَوْلَى لَا قِيَنِي مَعَ سَيِّدِي
 يَا اللَّيِّ غَيْرُكَ مَا كَانَ حَدَّ كُبَيْرِ***مَنْ خَلَاكَ مَا يَعْطِي وَلَا يَدِّي
 يَا الْعَالَمَ يَا سَمِيعَ يَا بَصِيرَ***يَا الْمَلِيكَ الْقُدُّوسَ جَوْدَاي
 يَا فَتَّاحَ رَزَاقٍ بَابَ الْخَيْرِ***لَا نُخَيِّشُ عِنْدَكَ يَا اللَّهَ سَعْدِي
 نَعْطِفُ عَلَيَّ سَيِّدِي الشَّيْخَ الْمَيِّزِ***دَاكَ مَا بَقِيَ مَقْصُودُ مُرَادِي²⁷

وجه "بلخير" من خلال هذه الحكمة خطابه لصاحب التدبير - كما وصفه هو - رغبة منه في لقاء سيده، والذي يعاين هذه الأبيات يرى الزهد يتمثل في ثلاثة أشياء:

أولاً: في الحقيقة الإلهية التي تثبت بأن معرفة أن الله تعالى هو الكبير المتعالي ولا يمكن لأحد أن يشاركه هذه الصفة، فكيفما أراد للشيء أن يكون حيث يعطي لعباده ويأخذ منهم.

ثانياً: من خلال توظيف أسماء الله الحسنى، والتي من خلالها — كما أسلفنا الذكر — استطاع تقوية دائرة الدعاء.

ثالثاً: من خلال توظيفه لصفات الشخص الذي يدعو الله من أجله في أن يلاقه به والتي هي: "سَيِّدِي" و"الشَّيْخُ" و"المُزِي"، وهي كلمات يصب معناها في نفس المعنى الذي يعني الرفعة وعلو الشأن وعلى الرقم واحد بين بني البشر، حيث وظفت توظيفاً صوفياً والتي تعني: "هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد التكميل فيها لعلمه بآفات النفوس وأدوائها، ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها والقيام بهاها أن استعدت ووقفت لهداها." 28

ولهذا فلا شك أن من وراء هذه الكلمات دليل لا يمكن أن يخرج عن أخلاق الشاعر اتجاه سيده لتوقيره واحترامه وتعظيمه له.

وأما الناجية الفنية فقد كان للنداء الذي جاء في حالات عديدة دور في إضفاء مسحة فنية زادت من التراكيب جمالا في الجرس الموسيقي وإيضاحاً وقوة في المعنى؛ لأن بها يستطيع الشاعر أن يلفت انتباه المتلقي أياً كان إلى نصه هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فقد كان لابتداء الشاعر بالبيت الثلاثي أثر كبير في معرفة المتلقي أمراً مهماً المتمثل في فافتي الشطرين التي تليه، والتي جاءت على الحرفين المجهورين "الراء" و"الذال"، الأول منهما معروف بتوسط الشدة والرخاوة يفيد التكرار وغيرها — كما أسلفنا الذكر —، وأما الثاني فمعروف عنه الشدة والقساوة، وهذا الجمع بينهما يدل أن الشاعر من خلالهما استطاع التعبير عن مشاعره، التي جمعت بين قليل من الأمل في وصل سيده، وبين اليأس والخوف من عدم بلوغ مقصده دون لقاءه مرة أخرى.

وفي الحقيقة الحمديّة* أورد "بلخير" عدة حكم يمكن الاستئناس بها عند كل من عامة الشعب لأنها حكم شعبية يسهل حفظها، ومن خاصتهم كالطبقة المثقفة من طلاب علم وخطباء وغيرهما، دلت خطاباتهما على صدق وحقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم وحقيقة شفاعته لأئمة خير أمة أخرجت للناس لأنه الرسول الذي نطق بالحق (أي القرآن الكريم) والشريعة (السنة النبوية الشريفة) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ 29 يقول:

الْعَالِبُ بِالرُّسُولِ غَالِبٌ *** نَطَقَ بِالْحَقِّ وَبِالشَّرِيعَةِ

وَاللّٰمِي عَادَى الرُّسُولَ خَائِبٌ *** مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ

يَجْعَلُنِي لِلرُّسُولِ صَاحِبٌ *** مَا نَشِي صَاحِبُ الْحُدَيْعَةِ

لِيهِ تُفَرَّقُ الْمَذَاهِبُ *** الْجَنَّةُ وَالْكُتُوبُ رِيعَةٌ

الْهَارِبُ لِلرُّسُولِ هَارِبٌ *** بَيَّتَ الرُّسُولَ بَيْتَ مَنْعَةٍ 30

فهو من خلال هذه الحكمة يتحدى أولئك الذين يعادونه صلى الله عليه وسلم الواصف إياهم بالحائبين لجهلهم حقيقة بعثته؛ فهو النبي الذي ترجى شفاعته يوم الميعاد، وهذه الحقيقة من أي مسلم يدعو بمجاورته وصحبته لأنها صعبة يجب أن تكون صادقة صافية مطهرة من أية شوائب في القلب وهذا ما عبر عنه الشاعر حين دعاه بقوله "مَانِشِي صَاحِبَ الْخُدَيْعَةِ"؛ لأنه لولا الرسول صلى الله عليه وسلم لما اختلفت المذاهب الأربعة المعروفة لدى المسلمين، ولما عرفوا بنزول أربعة كتب سماوية، وكل كتاب كريم نزل إلا وبشر بمبعثه صلى الله عليه وسلم وذكر فيه اسمه كما أجمع على ذلك جمهور العلماء، لهذا كانت هذه الحكمة مجسدة لحقيقة الالتجاء إليه واللاجئ له لا يخيب.

والملاحظ في أسلوب هذه الحكمة يجد فيها من جميل الأسلوب ما يجد جمع بين جزالة اللفظ وسهولته، وقوة المعنى وقدرته على التأثير في المتلقي، حيث برز فيه التأكيد الذي جسده:

-تكرار اللفظ: الغالب وغالب، الهارب وهارب، بيت وبيت؛ وهذا ما ساعد إثبات جمال المعنى وصدق التجربة لإحداث تلك النغمة والجرس الموسيقي الذي يؤثر في المتلقي.

-فعل الدعاء: الذي جسده الفعل الطلي "يَجْعَلُنِي" الذي أكد حقيقة نزعت الصوفية من جانب، ومن آخر حتى يؤكد للمتلقي على تلك الحقيقة المسماة بالحقيقة المحمدية صلى الله عليه وسلم، وبه يؤثر في المستمع ويجعله دائم التواصل معه.

-استخدام الرمز: على حد تعبيره: نُطَقَ بِالْحَقِّ وَبِالشَّرِيعَةِ، الحق رمز للقرآن الكريم، والشريعة رمز للسنة النبوية الشريفة؛ وبرمزته دل على قوة المعنى إذ يجعل المتلقي يفتش وينقب عليه.

وقد استخدم في الأبيات الثنائية حرفا الجهر "الباء والهاء" للدلالة على أن الشاعر يريد الجهر بالقضية التي تشغل ضميره، ولكن الملاحظ في الثاني أن "التاء" المغلقة لازمتها في جميع قوافي الأبيات من الشطر الثاني، وكأنه به يريد توجيه رسالة للمتلقي جاهرا إياها به أن هذه الحقيقة المحمدية التي جسدها أبيات قصيدته لا جدال ولا نقاش فيها، وهذا ما عبرت عنه بصدق تجربته الشعرية.

ويقول:

اللِّي مَا نَافَ عَلَى النَّبِيِّ مَا عَنَدُو نَيْفَ *** مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الشَّقَاعَةِ وَالْفُرْقَانِ³¹

تعد هذه الحكمة من أجمل الحكم التي ضمنها "بلخير" في ديوانه، وإن كانت حكمة جسدت حقيقته صلى الله عليه وسلم؛ إلا أن خطابها كان خطاب نصيحة وترهيب جمع بين عيبين وحقيقة مثبتة علنا تمثلا في أن الأولين مثلهما الجملة الشرطية الواردة في الشطر الأول من البيت وكأنه يريد القول "إن لم تكن لك أنفة على النبي فكأنك مجدوع الأنف" وإذا جدع الأنف يحدث تشويه وتغيير في الخلقة هذا من جانب ومن آخر لا يستطيع أي كائن على وجه الأرض التمييز بين جميل الروائح من رديها، وأما الحقيقة المثبتة فقد مثلها الشطر الثاني من البيت.

ومن الأشياء اللافتة للانتباه في هذا البيت أنه استخدم رمزين جمعا بين نقيضين مختلفين هما:

1/-رمز الأنف: كما أسلفنا الذكر بأنه رمز لتمييز الجميل من رديء الروائح.

2/- رمز الفرقان: هو من أسماء القرآن يقول تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾³²، ورد في المعجمات العربية ومنها "المعجم الوسيط" على أنها تلك الكلمة التي يراد بها الجمع بين الحق والباطل؛ وحجة ذلك أن القرآن الكريم جمع بين ما هو الحق وما هو الباطل.³³

وباجتماع هذين الرمزين اجتمع لنا معنيين أراد الشاعر أن يفطن الملقى لها تراوحت بأنه إذا أدركت الحقيقة المحمدية يقينا وحقيقة ما نزل عليه ونُفِث عليه فإنه حقا ستنال شفاعته وتكون من الفائزين، وإذا حدث عكس هذا فإنك ستكون غير ذي أهمية ولا فائدة مثل ذاك مشوه الخلقة.

ويقول أحد قصائده التي يعدد ويمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم:

مطلعها:

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ*** يَا الْمَدَائِنِي زَيْنَ النُّورِ
يَرْجُحُوا مَنْ صَلَّاهَا عَلَيْكَ*** أَلْفَ فَرْحَةٍ وَ أَلْفَيْنِ سُرُورِ
يَرْجُحُوا مَنْ صَلَّاهَا عَلَيْكَ*** ظَاهِرَ مَا فِيهَا تَشْكِيكَ³⁴

جسدت هذه الأبيات الثلاثة حقيقة لا بد لأي مسلم أن يدركها ألا وهي حقيقة فضل الصلاة والسلام عليه، فيها يقود نفسه للفرح والسرور على حد تعبير الشاعر، والملاحظ جيدا للقول يرى فيه أن الشاعر استخدم آليات حتى يؤثر في المتلقي ويجعله متفاعلا معه منها التوكيد المجسد في تكرار عبارتي "يَرْجُحُوا مَنْ صَلَّاهَا عَلَيْكَ"، وأيضا نطقه للفظتين قد يرى فيهما المتلقي أنهما تحملا نفس الدلالة ولكن هناك فرق بينهما هما: "الفرح والسرور"، ذلك أن "السرور اسم لاستبشار جامع؛ وهو أصفى من الفرح لأن الأفراح ربما شأبها الأحزان، ولذلك نزل القرآن باسمه في أفراح الدنيا في مواضع، وورد اسم السرور في موضعين في القرآن في حال الآخرة"³⁵، وأنه "لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه أو اندفاع ضرر، وهو والفرح والحبور أمور متقاربة، لكن السرور هو الخالص المنكتم، والحبور: هو ما يرى حبه أي: أثره في ظاهر البشرية، وهما مستعملان في المحمود، وأما الفرح فهو ما يورث أشرا أو بطرا (...). فالأولان ما يكونان عن القوة الفكرية، والفرح ما يكون عن القوة الشهوية."³⁶

- الإيمان بقضاء الله وقدره: من يؤمن بأن الذي يسطر الأمور في أحوال البشر هو الله؛ فلا شك أنه يحتاج إلى ماثورات بخاصة الشعرية منها لمناسبتها في مقامات تقال فيها، ومن بين أجمل وأروع ما جاء في الإيمان بالقضاء والقدر ما "محمد بلخير" في أشعاره وإن كانت قليلة تكاد تعد على الأصابع، وحتى وإن جاءت في بيت فهي فصيحة في جوهرها قوية في تراكيبها، ومن الشواهد في هذا العنصر، يقول:

الْقُدْرَةُ سَابِقَةٌ عَلَيْنَا مَحْتُمَةٌ*** مَا يَهْرُبُ حَدٌّ مِنْ أَحْكَامِكَ يَا قِيُومَ³⁷

ويقول:

الْكَاتِبَةُ تَلَحُّقُهَا وَ لَوْ تَطِيرُ*** بِهَا الرِّزْقُ ثَابِتٌ بِيَدِي³⁸

ويقول:

الْمَكْتُوبَةُ فِي الرَّأْسِ مَا مُحَاهَا كِتَابٌ*** فِي قَسَمِ الْعَبْدِ تَنَادِي³⁹

ويقول:

المكتوبة في الرأس لأحقة في الزمان*** لا بُدَّ حقي يَرَجائي⁴⁰

مما يلاحظ في هذه الأبيات هو وكأن الشاعر يريد التعريف بـ: "الْقُدْرَة، الكاتبة، المكتوبة" (التي هما من فعل الكَتَبَ وإسقاط الأمر)، ومما جسد هذا التعريف هو أن الشاعر بدأ كلماته بـ: "ال" التي تدل على المعلوم المعروف لا المجهول المنكر، وهذا دل دليل واضح على أن هذه الصيغة تحدث أثرا لدى المتلقي حتى يشركه في خطابه هذا من جانب، ومن آخر نجد الشاعر استخدم القاموس اللغوي المفهوم المجرد من الإبهام لدى عامة الناس وخاصتهم؛ لأن كلام الشاعر لا يعني المتلقي فحسب وإنما يشملته حتى هو -المرسل- وإن اختلفت صيغ الخطاب بين: "متكلم الذي مثله كلمة "عَلَيْنَا"، ومخاطب "الكاتبة تُلَحِّقُهَا"، وغائب "المكتوبة في الرأس لأحقة".

6. خاتمة:

بعد استعراض هذه النماذج الشعرية الحكيمة الزهدية للشاعر الشعبي "محمد بلخير" يمكن القول: إنه لم يخل الشعر الجزائري الحديث وبخاصة في أشعار "محمد بلخير" مما أسمىناه بـ: "الحكمة الزهدية، ونحن لم نفردها لها هذه التسمية إلا بتأكدنا على أنها كانت نتيجة تجارب طويلة ونابعة من فطرة سليمة قديمة مُحَفَّزة من تجربة، حيث كانت من أهم النتائج المتوصل إليها:

- تعددت المفاهيم الاصطلاحية للحكمة وتنوعت، تحديد معناها من أصعب الأمور شأنها في ذلك شأن الكلمات المعنوية العامة، إذ هي في أبسط معانيها قول موجز بليغ من تجربة سليمة قديمة صادقة.
- ارتبطت الحكمة بالشعر أيما ارتباط، إذ لا يمكن الفصل بينها، فالحكمة بحاجة للشعر حتى يتضح مفهومها لدى العامة والخاصة، والشعر بحاجة لها حتى يلقي الرواج والانتشار.
- الزهد في أبسط مفاهيمه هو ابتعاد عن ملذات الدنيا ومقابلتها بالعبادة لنيل ثواب الله عز وجل.
- يبقى "محمد بلخير" وشعره محل خلاف في الوسط الجمعي للاختلاف الذي قيل فيه من طرف الثلة الباحثة فيه هذا من جانب، ومن جانب آخر حتى شعره يبقى محل حذل من اختلاف في الروايات التي جمعت له فلم يعثر على كتاب حمل اسم: "ديوان محمد بلخير"، بل الذي عثر عليه ما هو إلا مجموعة من الأشعار والقصائد التي اختلفت رواياتها من باحث إلى آخر.
- تعد الحكمة الزهدية من أجمل وأروع الأبواب التي طرقها الشعراء في شعرهم، ومن الشعراء الذين أبدعوا في هذا المجال شاعرنا الشعبي "محمد بلخير".
- أثبتت النماذج التي استعرضناها بالدراسة من: "مدح للشيخ بوعمامة" الولي الذين يفخرون به أغلب سكان منطقة البيض، والنصيحة، والدعاء والتوسل، والحقيقة المحمدية -موضوع مدحه صلى الله عليه وسلم-، والإيمان بقضاء الله وقدره" موضوع الحكمة الزهدية للشاعر.
- وختاماً لا يسعنا إلا أن نوصي أغلب البحوث وطلاب العلم بإفراد دراسات مستقلة ومتنوعة لأشعار "محمد بلخير"، لأنه شخصية بحق تحتاج إلى الدراسة المتواصلة وبخاصة لدى الجزائريين.

الهوامش:

- ¹ يعقوب عادل نصر الدين، مفهوم وأبعادها شرعا ووضعا، جامع الشرق الأوسط، المملكة الهاشمية الأردنية، دط، 2013، ص9.
- ² المرجع نفسه، ص9.
- ³ ينظر: طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دت، ص69.
- ⁴ ينظر: جزييف نعوم حجار، المنجد في الأمثال والحكم والفوائد اللغوية، دار المشرق، بيروت، دط، 1983، ص1-2.
- ⁵ ينظر: د. حيدر لازم مطلق، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص14.
- ⁶ محمد النويحي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ/1999م، ص555.
- ⁷ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص196-197، مادة "ز ه د".
- ⁸ الأعلى: 16-17.
- ^{*} وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في تقديم هذه الدراسة.
- ^{*} الرزيقات: لفظة تطلق على أحد أجداد بلخير الذي كان اسمه "بورزيع" الذي كان مع مجموعة من قطاع الطرق الشرفاء المغامرون الذين يتعرضون سبيل اللصوص بالمنطقة "البيض" والمناطق المجاورة لها، لكن اشتكوه إلى سيدي الشيخ الذي وضع حدا لنشاطه وقاده إلى الطريق السوي، فأصبح بعدها من أنصار طريقته. العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، الصندوق الوطني لترقية الفنون، الجزائر، دط، 2008، ص8.
- ⁹ المرجع نفسه، ص8.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص19.
- ¹¹ دحماني خديجة، محمد بلخير، قسم استثمار الموارد البشرية، البيض، دط، 1989، ص2.
- ¹² المرجع نفسه، ص95.
- ¹³ ناصر صبار، محمد بلخير شاعر الحكمة والحرب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، دط، دت، ص53-59.
- ¹⁴ العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، المرجع السابق، ص138.
- ¹⁵ ينظر: منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1421هـ/2001م، ص92.
- ¹⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص92.
- ¹⁷ العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، المرجع السابق، ص145.
- ¹⁸ البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، سوريا-لبنان، ط1، 1423هـ/2002، ص12، كتاب: الإيمان.
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص690، كتاب "الجهاد والسير".
- ²⁰ العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، المرجع السابق، ص144-145.
- ²¹ عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1986، ص136.
- ²² العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، المرجع السابق، ص233.
- ²³ سورة غافر : 60.

²⁴ الحديث طويل طويل جاء في "صحيح مسلم". مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو مسلم، صحيح مسلم، تح: نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط1، 1427هـ/2007م، ص1345-1346-1347، باب الجساسة.

²⁵ سورة التوبة: 40.

²⁶ سورة التوبة: 118.

²⁷ العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، المرجع السابق، ص247.

²⁸ بوغديري كمال، الطرق الصوفية في الجزائر "الطريقة التيجانية نموذجاً" - دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة العلوم في علم الاجتماع، إ.أ.د. ميلود سفاري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: علم الاجتماع، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر، 2014-2015، ص201-202.

*مما ترسم عند رجال الصوفية أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خلف الله تعالى نورا، ومن نوره خلقت جميع الأنوار؛ فهو حبيب الله ورسوله، إذ اقتزان الله اسمه باسمه في الشهادتين، فحاز أشرف الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام على أفضل الدرجات عنده تعالى، وهذا النور بمعناه كما طهر عند الصوفية أوجز مصطلحا عرف في دستورهم بـ: "الحقيقة المحمدية" التي أثبتتها موضوع مما لا شك فيه جوهر أي نزعة صوفية ودليلها الذي يقود إليها وقاعدة لا يمكن الحياد عنها ألا وهو موضوع "المليح النبوي أو المدائح النبوية".

ومصطلح الحقيقة المحمدية رغم ظهوره المتأخر في التراث الإسلامي، ولاغم ما لقيه من رفض ومعارضة من الفقهاء كابن تيمية وغيره؛ إلا أنه يعد من أكثر المفاهيم عمقا وأصالة؛ فهو يرمز إليه بالنور المحمدي أو نور محمد. ينظر: علي شوكيفيتش، الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي، تر: أحمد الطيب، الحكماء للنشر، أبو ظبي، الإمارات، ط2، 1440هـ/2019م، ص127.

أو هي: "التعني الأول الذي ظهرت فيه النبوة والولاية والرسالة، ونشأ عنه جميع التعينات ولأجل ذلك كان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام سيد الوجود وأصل كل موجود، وخو أول الأولين وخاتم النبيين المختص بالاسم الأعظم الذاتي الذي لا يكون إلا له دون جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث إنه المرجع الأصلي لجميع التعينات". رقيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص300-301.

²⁹ النجم: 3-4.

³⁰ العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، المرجع السابق، ص200.

³¹ المرجع نفسه، ص200.

³² الفرقان: 10.

³³ ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م، ص685.

³⁴ العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، المرجع السابق، ص275.

³⁵ الهروي عبد الله الأنصاري، كتاب منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1408هـ/1988م، ص104.

³⁶ الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسبي، الكليات -معجم في المصطلحات والفروق اللغوية-، أعده للطبع ووضع فهرسه: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ/1998م، ص508.

³⁷ العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، المرجع السابق، ص193.

³⁸ المرجع نفسه، ص272.

³⁹ المرجع نفسه، ص294.

⁴⁰المرجع نفسه، ص303.

6. قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت.
- بوغديري كمال، الطرق الصوفية في الجزائر "الطريقة التيجانية نموذجاً" -دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة العلوم في علم الاجتماع، إ.أ.د. ميلود سفاري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: علم الاجتماع، جامعة محمد لين دباغين، سطيف، الجزائر، 2014-2015.
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، سوريا-لبنان، ط1، 1423هـ/2012.
- جزييف نعوم حجار، المنجد في الأمثال والحكم والفوائد اللغوية، دار المشرق، بيروت، دط، 1983.
- دحماني خديجة، محمد بلخير، قسم استثمار الموارد البشرية، البيض، دط، 1989.
- الهروي عبد الله الأنصاري، كتاب منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1408هـ/1988م.
- حيدر لازم مطلق، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1.
- طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دت.
- يعقوب عادل نصر الدين، مفهوم وأبعادها شرعاً وواقعياً، جامع الشرق الأوسط، المملكة الهاشمية الأردنية، دط، 2013.
- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات -معجم في المصطلحات والفروق اللغوية-، أعده للطبع ووضع فهرسه: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ/1998م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م.
- محمد النويحي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ/1999م.
- منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1421هـ/2001م.
- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو مسلم، صحيح مسلم، تح: نظر بن محمد الفارياي أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط1، 1427هـ/2007م-
- ناصر صبار، محمد بلخير شاعر الحكمة والحرب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، دط، دت.
- عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1986.
- علي شوكيفيتش، الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي، تر: أحمد الطيب، الحكماء للنشر، أبو ظبي، الإمارات، ط2، 1440هـ/2019م.
- العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، الصندوق الوطني لترقية الفنون، الجزائر، دط، 2008.
- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1999.